صيدون العظيمة والى مسرفون والى بقعة مصفاة شرقاً... فضربوهم حتى لم يبق لهم شارد، ففعل يشوع بهم كما قال الرب: عرقب خيلهم واحرق مركباتهم بالنار، ثم رجع يشوع في ذلك الوقت الى حاصور، وضرب ملكها بالسيف... لأن حاصور كانت قبلا رأس جميع الملوك، وضربوا كل نفس بحدّ السيف، حرموها، ولم تبق نسمة، وأحرق حاصور بالنار... فأخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملوكها وضربهم بحدّ السيف»(١٠).

يطرح هذا النص أموراً راهنة جديرة بالتأمل. فمن جهة، سعت اسرائيل، دائماً، الى ضرب كل بلد عربي يتميّز بالقوة ويستملك مقوّمات الحضارة والعلم والتسليح. وثمة دلائل كثيرة على ذلك في سياق الصراع العربي ـ الاسرائيلي، مثل العدوان الثلاثي على مصر وحرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، وتدمير المفاعل الذري العراقي وغيرها. ومن جهة أخرى، فان وضوح الاهداف النهائية لا يدع مجالاً للتشكيك بنوايا الصهيونية المنصبة على كل الارض العربية، كما ورد ذلك في الاصحاح الحادي عشر «أخذ يشوع كل الارض وأعطاها يشوع ملكاً لاسرائيل حسب فرقهم واسباطهم، واستراحت الارض من الحرب»(١١).

تحولات في اللغة العبرية

اعتمدت الصهيونية اللغة العبرية، نغماً سياسياً ودينياً، تتسلل عبره الى أهدافها التوسّعية. من هنا، مثلاً، قال بن غوريون: «ان اللغة العبرية كانت لغة متكلمة تعيش في القلوب، لأنها كانت لغة الصلاة والشعر والأدب الديني... وعلينا التمسّك بالعبرية أكثر، ليتمكّن اليهود من البقاء كشعب واحد»(١٢).

على هذا الاساس، ذهب احد الباحثين الى القول، ان «اللغة العبرية لم تعرف بهذا الاسم في التوراة أو لدى الانبياء، وفي الكتب. بل جاءت تحت اسم الكنعانية أو اليهودية... وزعم العبرانيون ان لغتهم هي لغة التوراة، واللغة التي كلّم الله بها موسى... انما العبرية، في الحقيقة، كانت خليطاً من الآرامية والكنعانية، وكثير من اللغات الاخرى سامية وغير سامية». ولاحظ، كذلك، ان «اللغة العبرية هي اللغة السامية الوحيدة التي لم تولد أو تلازم الناطقين بها منذ ظهورهم في التاريخ، والاسرائيليون أنفسهم لم يُعرفوا باسم العبرانيون كشعب، ولم يتكلّموا العبرية الاّ بعد استيطانهم ومخالطتهم الكنعانيين»(١٣). كما ساهم باحثون غير عرب في اضاءة هذا الجانب وفي فضح ادعاءات الصهيونيين. من هؤلاء شاراجا ايرماي الذي أكد ان «العبرية القديمة كما شهد المؤرخون، كانت فقيرة حتى عهد استعمالها؛ فالأسفار الأخيرة للكتاب المقدس وسائر أجزاء التلمود، حررت كلّها بالآرامية. وطوال فترة الألفي سنة، كان اليهود، يستعملون العربية ـ في زمن ازدهار اللغة العربية والثقافة الاسلامية ـ أو يتحدثون لغات البلدان التي يقيمون فيها في أنحاء العالم». وأضاف ايرماي ان «العبرية، في تاريخها، عاشت في ظلّ كثير من اللغات، واكتسبت من هذه اللغات قاموسها. وأهم هذه اللغات، هي العربية. وتحت سيطرة الآرامية واليونانية والرومانية والفارسية والعربية، اكتسبت العبرية ثروة لغوية وبنيوية، مع اكتساب النطق الآرامي، واتخاذ العربية أنموذجاً في النحو والشعر»(١٤).

كان على الصهيونية كحركة سياسية، في الأساس، ان تسعى الى تثبيت لغتها والاعتماد على التناقض داخل الدعوى الصهيونية، التي اعتمدت شعار القومية والدين كمعنى واحد لا